الوحدة رقم05

تحديد المفاهيم (اللغوي، الاصطلاحي، الإجرائي، الأبعاد، المؤشرات)

اعداد : د.حجام العربي
قسم علم الاجتماع - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

أولا- تمهيد

إن تحديد المفاهيم أو المفهمة (conceptualisation) : هي سيرورة تدريجية لتجسيد ما نريد ملاحظته أو دراسته في الواقع. والمفهوم هو "يقابل على العموم مجموعا معقدا من الظواهر وليس ظاهرة بسيطة أو قابلة للملاحظة بشكل مباشر...إنه تمثل تم تصوره". **والمفاهيم** يتم استخراجها من الفرضيات، ثم يتم العمل على تحليلها وتفكيكها لاستخراج **الأبعاد** أو الجوانب التي سيتم أخذها بعين الاعتبار. وكل بعد من هذه الأبعاد يتم تشريحه إلى **أبعاد فرعية** تقربنا إلى الواقع ثم نقوم بتجريئها وتحويلها إلى **مؤشرات** قابلة للملاحظة.

ومنه **ففي البحث السوسيولوجي**، لا يكفي أن يختار الباحث موضوعا مثيرا أو إشكالية واضحة، بل يتعين عليه أن يُحدد المفاهيم الأساسية التي تشكل نواة بحثه بدقة وصرامة علمية. فالمفاهيم هي أدوات التفكير والتحليل، ومن دون ضبطها، يصبح البحث عرضة للغموض والتأويلات المتعددة.

تحديد المفاهيم يمر بمراحل متكاملة تبدأ بالتعريف اللغوي الذي يوضح المعنى المعجمي، ثم التعريف **الاصطلاحي** الذي يربط المفهوم بسياقه العلمي، وصولًا إلى التحديد **الإجرائي** الذي **يُحول المفهوم إلى مؤشرات قابلة للقياس**. كما يتطلب الأمر تحليل المفهوم من حيث **الأبعاد** التي يتكون منها، **والمؤشرات** التي تسمح بقياس كل بعد ميدانيا.

في علم اجتماع التنظيم والعمل، تبرز أهمية هذا التحديد عند دراسة مفاهيم مثل "السلطة"، "الرضا الوظيفي"، "الثقافة التنظيمية"، حيث يصبح من الضروري ترجمة هذه المفاهيم إلى أدوات بحثية دقيقة تساعد على فهم الواقع التنظيمي وتحليل ديناميا ته.

- لكل بحث مفاهيمه الخاصة التي تسمح بتعبير أفضل عنه وتحديد دقيق، وهي تتبع من جهة المقاربة النظرية للبحث، ومن جهة أخرى لإشكالية البحث وفرضياته، فنحن نحدد الموضوع انطلاقا من المفهوم ، لكن ندرسه انطلاقا من المتغير.

ثانيا– بعض دلالات المفهوم :

للمفاهيم علاقة بنائية وثيقة بالنظريات والفرضيات والمتغيرات... فالنظريات تقدم في تفسيرها "للحقائق" (الوقائع عند البعض) والعلاقات العديد من المفاهيم والمتغيرات المتجددة التي يتم اختبار علاقاتها بعد ذلك في فرضيات جديدة...

وهكذا. مما يعبر عن عملية التراكم والتجديد في المعرفة العلمية، بغية إقرار "الحقائق".

وتكتسب "**الحقائق**" قيمتها من المعاني والصور المشتركة التي يرسمها الأفراد لها ويتفقون عليها في البيئة الواحدة. وتصاغ هذه المعاني والصور في شكل رموز لغوية ذات دلالة.

ونظرا لاختلاف هذه الرموز ودلالاتها باختلاف المجال المعرفي والتخصص العلمي والخلفية الثقافية، فإنه يتم التعبير عن الرمز ودلالته أو معناه في المجال العلمي الواحد بالمفهوم (Concept) ولهذا يقال دائما أن لكل علم مفاهيمه الخاصة . وأن لكل ثقافة مفاهيمها الخاصة. وهي مجموعة الرموز ذات المعاني والتصورات المشتركة في مجالات هذا العلم وتطبيقاته، والتي من خلالها يتم تناول المعلومات والأفكار والآراء، حيث تعتبر المفاهيم أداة اتصال في البيئة العلمية أو الثقافية الواحدة؛ «**فالمفاهيم بنت بيئتها**»، كما هو شائع.

معنى مفهوم :

يعرفه **موريس انجرس** على أنها : «**تصور ذهني عام ومجرد لظاهرة أو أكثر وللعلاقات الموجودة بينها**» **-المفاهيم هي كائنات بحثية نظرية تجريدية تمكننا من تسمية الواقع عن طريق تجريده في صورة ذهنية مناسبة والمفهوم السوسيولوجي تحديدا أكثر تعقيدا وتجريدا يتطلب من ناحية ابداعه وتطويره**، بل وحتى استعماله أحيانا دراسة كاملة بحد ذاتها، وهذا ما يقع ضمن جوهر ما يسمى **بالبحث الأساسي الذي يسائل** النظريات والمفاهيم ويطورها .. إلخ.

ويعرف المفهوم بشكل مناسب للموضوع، فهو نسبي، ولا يعرف في كل البحوث بنفس الحدود و الأبعاد والعناصر التكوينية وبشكل دائم. إنه مرتبط في حدوده التعريفية بموضوع محدد بعينه، ويتأثر في ذلك بزمكانية البحث والخصائص المجتمعية المختلفة فيما بين المجتمعات، وبمقاربة الباحث وتصوره، وحتى موارده المعرفية وتمكنه.

وللمفهوم علاقة وثيقة **بالمصطلح (Term) لكنه يختلف عنه ، فالمصطلح هو** في الغالب عبارة عن كلمة واحدة – أو "عبارة" أحيانا– متفق **حول دلالتها لفظيا (المعنى الاصطلاحي في تخصص معين، مثلا)**، بينما **لا يرتبط المفهوم بكلمة أو كلمات محددة الدلالة –لفظيا–، إذ أن المفهوم الواحد قد يعبر عنه بكلمات مختلفة وبدلالات مختلفة تشير إلى بناءات فكرية وصور ذهنية مختلفة**. ولذلك، يمكن **اعتبار أن المصطلح "كمي" التوجه والمفهوم "كيفي" التوجه.** وهناك طبعا في مستويات أعم من لا يفرق بين المفهوم والمصطلح، معتبرا أن المفهوم في بيئته الثقافية يعتبر مصطلحا وأن الهدف العلمي من التعريف الإجرائي لكليهما هو تحقيق الاتفاق في الدلالة في البحث قيد الإجراء، فيستعملهما بشكل متعاوض لكونهما قابلين للتبديل (مترادفين).

ولذلك، **يعتبر غموض المفاهيم ومرونتها أو عدم الاتفاق على تعاريف محددة لها من أبرز المشكلات التي تؤثر أيضا في أساليب دراسة الظواهر العلمية ومعالجتها وتطوير البحث العلمي**. ولذلك يعتبر **"التعريف" أو "التحديد (Definition) " أمرا ضروريا وملازما للمفهوم**، حيث يتم من خلاله الاتفاق على محدداته الخاصة. وتعريف الشيء هو تحديد خصائصه التي تميزه عن غيره من الأشياء. وقد يصلح هذا التعريف للتحديد الدقيق أو القياس أو التجريب وقد لا يصلح، ولذلك يقسم **الخبراء التعريف إلى نوعين رئيسين:**

- **التعريف الاصطلاحي (النظري):** يعبَّر عنه عادة بالبناء الفكري أو النظري للمفهوم، أي تعريفه من خلال بناءات لفظية تشير إلى المعنى كما يراه الشارح أو المفكر.

ويتعرض هذا النوع من التعريفات إلى نقد شديد في الاستخدام نظرا إلى ندرة الاتفاق على الرؤى الخاصة بالمفكرين والباحثين للمفاهيم أو المصطلحات في العلوم الإنسانية عموما. ولذلك يستبعد هذا النوع من التعريفات في البحث العلمي عندما تكون هناك حاجة للتجريب أو القياس، فيحتاج الباحث حينها إلى نوع آخر من التعريف يحدد له ما يمكن إخضاعه للتجريب أو قياسه في المفهوم الذي يتعامل معه.

- **التعريف الإجرائي:** يقصد به التعريف الذي يحدد المفهوم من خلال سلسلة من الإجراءات أو العمليات والمؤشرات التي تشرح وجود المفهوم وخواصه التي يمكن الكشف عنها من خلال القياس أو المعايرة والتجريب، وبصفة خاصة عندما يتعامل الباحث مع هذا المفهوم خلال البحوث التجريبية أو التطبيقية، أو خلال ملاحظته لحركة هذا المفهوم وعلاقاته واتجاهاته.

فمثلا، يمكن تعريف **مفهوم تأثير الحوافز من خلال "ما تحدثه الحوافز من آثار إيجابية أو سلبية بالنسبة للعامل في مجالات** متعددة يمكن الكشف عنها، مثل المجالات الأداتية أو السلوكية أو الوجدانية". وبذلك فإنه يمكن الكشف عن اتجاه هذه الآثار وقياسها من خلال مقاييس الكسب المعرفي أو التغيير في السلوك أو القيم... على سبيل المثال.

ثالثا- خصائص المفهوم السوسيولوجي:

للمفهوم السوسيولوجي عدة خصائص ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند أي محاولة بناء، تطوير أو تحديد وتحليل للموضوع. يمكننا تسجيل الخصائص المهمة التالية:

- **أكثر تعقيدا:** وهذا راجع لتعقد الظاهرة الاجتماعية ذاتها بالنظر لتداخلاتها مع الظواهر الأخرى ومن حيث خصائصها الذاتية كذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يرجع الأمر كذلك لتعقد موضوعات السوسيولوجيا؛ وهذا ما يتطلب قدرا مناسبا من الفعل الابستمولوجي بداية قبل الفعل المنهجي،

- **أكثر نسبية:** لن يتمكن أي مفهوم مهما كان عمقه النظري والإجرائي من التعبير الكامل والمكتمل عن مختلف خصائص الظاهرة، أي أن تجريد الواقع في صورة ذهنية مكتملة ليس ممكنا بالتمام والكمال. هذا إضافة لكونه يتبع نظرية معينة وبحث معين ومجتمع بحث معين، وأنه إنتاج مجتمعي فكري وتاريخي قبل أن يكون منتجا علميا خالصا، هذا ما يجعل منه وباستمرار موضع نقد وتجاذبات معرفية ونظرية، وتعريف وإعادة تعريف نظرية وإجرائية في كل بحث يتم

كما تعتبر التعريفات الإجرائية همزة الوصل بين النظرية والتطبيق، وتسهم في الإجابة على التساؤلات الخاصة بماهية المعايير وطرق القياس وإجراء المقارنات...، وهي نوعان:

- **التعريف الإجرائي الميداني الوصفي أو القابل للقياسMeasurable** هو الذي يصف كيفية تحويل المفهوم إلى قيم كمية يمكن قياسها. فمثلا، يمكن تعريف مقروئية الصحف من خلال عدد الأفراد الذين يقرتون الصحف بصفة منتظمة في المجتمع، وسلوك المشاهدة من خلال الإقبال أو العزوف عن المشاهدة، وتكرار المشاهدة، والوقت الذي يقضيه الفرد في المشاهدة يوميا. وهذه كلها تعاريف يمكن قياسها بعد تحويلها إلى قيم كمية.

-**التعريف الإجرائي التجريبيExperimental**: وهو الذي لا يكتفي بكيفية القياس، ولكنه يحدد أيضا طريقة التعامل خلال التجريب. فمثلا، عندما نهتم بغرس المعاني أو تشكيل المعتقدات، أو تغيير الاتجاهات، فإن هذه المفاهيم تشير إلى كيفية الكشف عن الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام -أو غيرها من وسائل التنشئة الاجتماعية- في هذه المجالات من خلال التعامل بالتصميمات التجريبية المختلفة مثل المجموعتين الضابطة والتجريبية، أو المجموعة التجريبية قبل وبعد التعرض... إلى آخره.

- **أكثر تغيرا:** تلك صفة أساسية ابستمولوجية في المفهوم، فكما تتكيف النظرية وتتطور حسب المجتمعات وحسب التحولات والتغيرات الممكنة لهذه المجتمعات ... ينبغي كذلك أن يتغير المفهوم، ويخضع للتشخيص والنقد والتطوير الدائم، ولما تكون هذه الخاصية أكثر إلحاحا بالنسبة للسيولوجيا تحديدا، وللعلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام.

- **أكثر تجريدا** : يعتبر المفهوم السوسيولوجي أكثر المفاهيم تجريدية من مفاهيم العلوم التجريبية مثلا، وحتى من بعض مفاهيم العلوم القريبة اجتماعية كانت أو إنسانية. هذا يأتي بالنظر لكون الكثير من مفاهيم السوسيولوجيا تتبع نظريات أكثر تجريدية هي كذلك، ولأن التحولات والتغيرات المجتمعية التي تمت والتي تتم باستمرار تتطلب إبداعا مستمرا للمفاهيم لتعريفها وتسميتها بشكل مناسب. يعني ذلك أن المفهوم يتم إنتاجه للتعبير عن شيء سبقه في الوجود لكن كذلك لشيء في طور التكوين أي لم يحصل بعد كما هو الشأن مثلا بالنسبة لمفهوم بيروقراطية لدى فيبر، مفهوم رأسمالية، مفهوم عقلانية ...

رابعا - أهمية المفهوم للبحث:

للمفهوم أهمية بالغة في البحث يمكن حصرها في العناصر الثلاث التالية:

- هو لغة البحث التي تعبر عنه والتي **تحقق شروط الوضوح والدقة من بداية العمل لنهايته** .
- هو عنصر **بنائي للبحث، فهو يظهر بشكل أكثر أهمية في بنية سؤال الانطلاق، في الإشكالية وفي الفرضيات وفي التحليل وفي التركيب، ومن خلالها كلها في جميع مراحل البحث وعناصره بشكل أو بآخر** .
- يحدد البحث والعناصر التي تدخل **في سيرورة البحث نظريا وميدانيا،**
- عن طريق تحديده، ثم تحليله يتمكن الباحث من بناء عناصر بحثه اللازمة، واختبار فرضياته نظريا وميدانيا .
- بعد التحليل بالتحقق، **يسمح المفهوم بإعادة تركيب البحث تبعا لاتجاه عملية التحليل بما يسمح بتركيب استنتاجات البحث وصولا للاستنتاج العام.**

خامسا– شروط صياغة المفهوم

1. تحديد وإبراز الأبعاد والمؤشرات الاجتماعية للمفهوم.
2. وصف دقيق وشامل لمعاني المفهوم وذلك بعبارات سهلة وبسيطة ومتداولة في التراث السوسيولوجي أخذين بعين الاعتبار مسألة الحراك المفاهيمي، أي تبادل المناصب بين المفاهيم، المفهوم الرئيسي يصبح فرعي والعكس، ثم يأتي المفهوم الإجرائي ليعبر عن ما يراه الباحث.
3. الابتعاد عن الانطباعات الشخصية.
4. تجنب استعمال العبارات العامية والدارجة واستعمال بدل ذلك لغة البحث، ولو أن هذا الشرط ليس مطلقا بل هناك بعض المصطلحات الدارجة التي تم اعتمادها في القاموس اللغوي لتمثلها لظاهرة اجتماعية من صنع المجتمع المحلي مثل ظاهرة "الحرقة"، غير أن الباحث بعد أن يستعمل المصطلح بالدارجة ينتقل لتوضيح معناه بعبارات من لغة البحث السوسيولوجي.
5. الاقناع بأن تحديد المفاهيم السوسيولوجية في البحث السوسيولوجي لا يجب أن يقف عند حدود التعبير والتوضيح فقط، بل يتعداه إلى مساعدة الباحث على تحديد أهداف بحثه ودراسته الميدانية.

سادسا– القواعد المنهجية لاستعمال المفهوم في البحوث السوسيولوجية

بعد بيان أهمية المفاهيم في العلوم، وتناولنا آليات تشكلها، وتوضيح فكرة ضرورة الاحتراز من توظيفها بطريقة مباشرة، دون ممارسة النقد عليها، تأتي إلى ذكر بعض القواعد المنهجية في استعمال المفاهيم في مجال الدراسات الاجتماعية، حيث لاحظنا أن هناك إرباكا معرفيا لدى الباحثين في عرضها، وفي طريقة توظفيها في البحوث السوسيولوجية

- **القاعدة المنهجية الأولى:** من القواعد الأساسية الواجب ذكرها في هذا المقام، قاعدة تحديد دائرة انتماء المفهوم، حيث لاحظنا أن العديد من الباحثين يستعملون آلية استعارة المفاهيم فيلجؤون عن وعي أو عن غير وعي منهجي، إلى عرض مفاهيم لا تنتمي إلى حقل السوسيولوجيا ما يؤثر سلبيا على استعمال المفهوم في مقاربة الظواهر الاجتماعية، فهنا وجب على الباحثين التركيز على مفاهيم تنتمي إلى دائرة علم الاجتماع، فليس شرطا أن تحول كل مفردة من عنوان في البحوث الاجتماعية إلى مفاهيم، تستعرض في مساحة من البحث الاجتماعي، " فالعالم يحتاج إلى أن يستعمل أقواله في معانيها الحقيقية ويضبط أحكامها المختلفة، وأن يصرح بتمام مضامين هذه المعاني والأحكام، لذلك تراه يعمل من غير انقطاع على محو آثار الإشارة من أقواله، حتى أن القول العلمي، قد يكون هو حفظ العبارة وصرف الإشارة .

❑ **القاعدة المنهجية الثانية:** تتعلق بوعي الباحثين **بتلك العلاقة بين المفهوم والنظرية**، وهنا لاحظنا كيف يقوم الباحثون بعرض مفاهيم تنتمي إلى نظريات مختلفة، ما يوقعهم في نوع من التناقض المعرفي في مقاربة الظواهر الاجتماعية، لذلك، يجب على الباحث أن يختار الإطار النظري الذي يشغله في مقاربة الظاهرة المدرسة، ما ينجر عنه آليا عرض المفاهيم التي تنتمي إلى هذا المدخل النظري.

❑ **القاعدة المنهجية الثالثة:** **البعد الإجرائي المفاهيم، تحويل المفهوم النظري إلى مفهوم قابل القياس إجرائيا،** فالمفهوم يقتضي سيرورتين أو خاصيتين ذهنيتين: هما ": **التجريد والتعميم**، إذ بهما تحريك الوحدة البسيطة بين الأجزاء والعناصر المشتركة بين أفراد الما صدق، **والمفهوم بوصفه فكرة مجردة أو وحدة ذهنية بعد وساطة**، يتوسل بها العقل لتمثل الواقع عبر تحديداته وخصائصه العام والشمولية، فلا تعني الصباغة الإجرائية للمفهوم، أن نتخلى كليا عن المفاهيم النظرية التي قمنا بعرضها في البحث الاجتماعي، وإنما القصد أن نكسب المفاهيم التي وضعناها بعدا إجرائيا من خلال تحديد الأبعاد والمؤشرات لنتمكن من قياسها امبريقيا. **هذا في حالة إجراء البحث الاجتماعي الكمي، أما المفهوم في البحوث الكيفية،** فإننا **لسنا في حاجة إلا المفاهيم إرشادية، فالمفهوم يتم بناؤه انطلاقا من أفواه الباحثين أو من سيرهم الذاتية أو من خطاباتهم الاجتماعية اليومية، فالبحوث الكيفية،** لا يؤمن أصحابها بجاهزية المفاهيم، بل يقوم الباحث ببناء المفاهيم الإجرائية بعد التواصل مع المبحوثين الممثلين للعينة التي اختار دراستها.

القاعدة المنهجية الرابعة: العرض الكرونولوجي للمفهوم، كما ذكرنا سابقا، أن كل مفهوم يتشكل من مجموعة عناصر، أو مجموعة من الخصائص المعبرة عن الظاهرة الاجتماعية، ما يفترض أننا عندما تعرض المفاهيم في البحث الاجتماعي، أن نقوم بعرض كل مفهوم لاحق ما يضيف أو ينقص من العناصر البنيوية للمفهوم السابق، ويقوم الباحث بتحليل تاريخي للمفهوم، وكيف جرى التوصل إليه، وإذا مازال أداة صالحة في شرح الظاهرة التي يفترض أنه يسهم في فهمها واستجلائها. وقد يفيد التحليل الفيلولوجي اللساني على أنواعه للمفهوم، كما يفيد تتبع مراحل نشوئه في تطور البحث العلمي" ، وبالتالي يكون العرض من جهة الميلاد التاريخي للمفاهيم، فنبدأ بالأقدم تاريخيا لنصل إلى الأزمنة الحديثة، محققين انسجاما معرفيا في عرض المفهوم، وموضحين للقارئ مجموعة التعديلات التي لحقت المفهوم عبر الزمن. ويمكننا أن نختار مفهوما معينا وننزل به إلى ميدان الدراسة مع التبرير المنهجي، وإما نستخدم مفهوما إجرائيا عصارة عناصره نستخلصها من المفاهيم النظرية.

سابعا - المتغيرات

هي ما يسمح بتشكيل موضوع البحث واختباره، وهي ناتجة عن المفاهيم من خلال التحليل المفهومي، لكنها عكس المفاهيم لا تحاول أن تجرد الملموس وإنما تحاول أن تنقل ما هو مجرد إلى مستوى أكثر ملموسية، وأكثر إجرائية بما يسمح بالتحقق من إشكالية الموضوع وفرضياته.

01- معنى متغيرات: المتغيرات هي كائنات بحثية تحدد الموضوع بشكل أكثر ملموسية، وتجعله من الناحية الإجرائية قابلا للتحقق فهي تنقل البحث من الطابع النظري المتمثل في المفاهيم، إلى الطابع الإجرائي المتمثل في المتغيرات وتجعله قابلا للتحقق والاختبار والقياس.

02- أهمية المتغيرات:

- تعبر عن موضوع البحث بشكل دقيق وواضح،
- تسمح ببناء موضوع الدراسة إجرائيا، تجمع بين ما هو نظري وما هو ميداني وإجرائي في البحث، وذلك من خلال تحديد وتحليل المفاهيم وصولا للمتغيرات،
- تسمح بالتحقق من موضوع الدراسة من خلال خاصية القابلية للتحقق الميداني، والقياس والاختبار
- تحدد طبيعة العلاقات الممكنة لمتغيرات البحث، مستقل تابع مثلا.

ثامنا - بناء نموذج التحليل

بناء نموذج التحليل يعني إعداد نسق متماسك من الفرضيات والمفاهيم العملية، وأساس بناء **نموذج التحليل قائم على الإنتقاء**، أي أنه **ليس معطى جاهز**. ومرحلة **بناء نموذج التحليل هي المرحلة التي تكون نقطة إتصال بين الإشكالية المعتمدة من قبل الباحث السوسيولوجي ومجال تحليله المحدد**. **ولكن كيف يبنى نموذج التحليل؟**

الإجابة: يبنى نموذج التحليل بناء معرفيا وبناء منهجيا،

فأما البناء المعرفي: فيتعلق ببناء المتغيرات من الخلفية النظرية أو المقاربة النظرية المتبناة.

وأما **البناء المنهجي: فيتعلق ببناء المفاهيم وعملية البناء هذه تكون من خلال عملية التحليل المفهومي المتغيرات إلى أبعاد والأبعاد إلى مؤشرات**. حيث أن **بناء المتغيرات يؤدي إلى ضبط الفرضيات، أما بناء المفاهيم فيؤدي إلى ضبطها لغة، اصطلاحا وإجرائيا**.

ومنه فالباحث السوسيولوجي يقوم **ببناء نموذج التحليل معرفيا من خلال تحديد أبعاد المتغيرات**، والمتغيرات هي **المفاهيم الرئيسية للموضوع البحث السوسيولوجي**، ثم **مؤشرات الأبعاد التي تمثل الأبعاد** والمتغيرات في الواقع، أي يجب إختيار **أبعاد المتغيرات القابلة للمعاينة**، أي أن الأبعاد هي التي ترشد الباحث إلى ما هو موجود من واقع الظاهرة أي المؤشرات القابلة للتحديد والقياس، والمؤشر يمكن أن يكون أثرا، أو إشارة تعبيرا، أو رأيا ...إلخ، يمدنا بالمعلومات بمعناها من الواقع، في ضوء النسق المفاهيمي للمقاربة النظرية المتبناة منذ وضع عنوان موضوع البحث.

المفهوم – المتغير

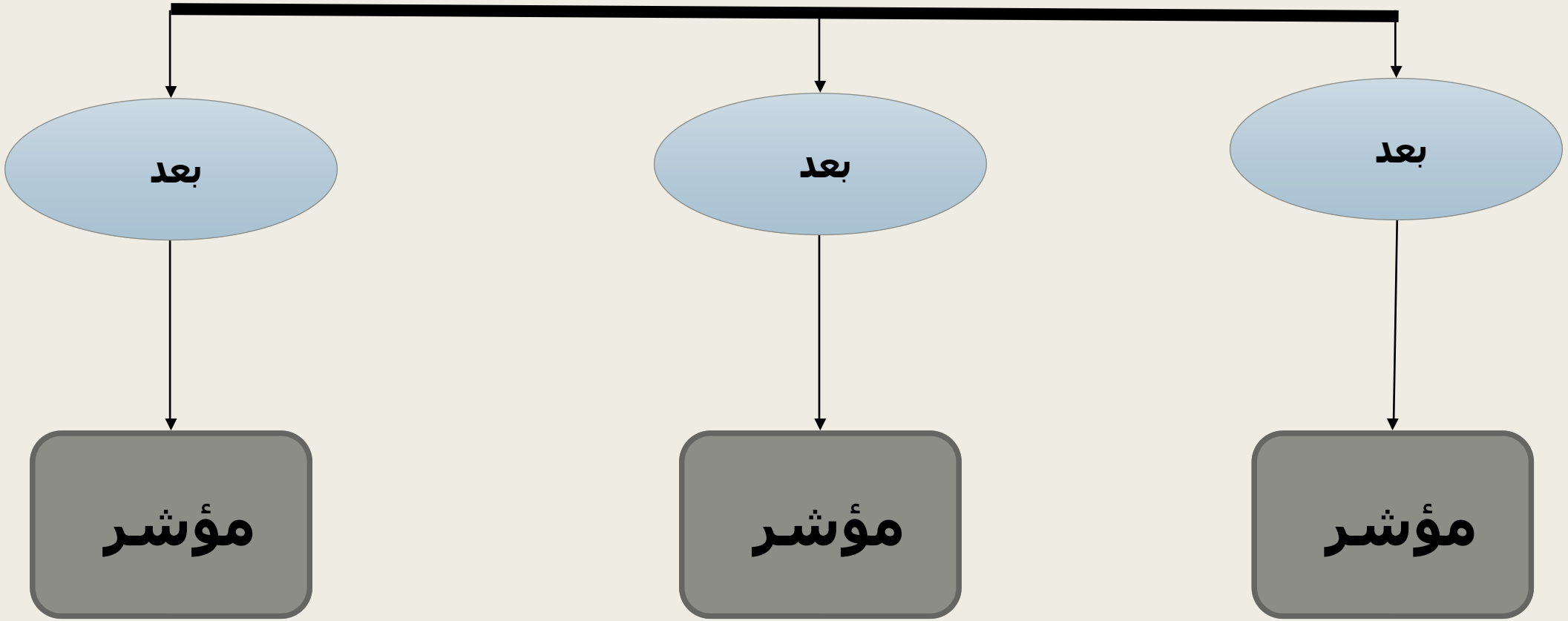

ويمكن تعريفها فيما يلي:

– **المفهوم/ المتغير**: هو **تصور ذهني مجرد عام يقدم في صورة ما**، أي بناء ذهني مجرد غير ملموس يترجم ذهنيا مستويات معينة من الواقع الاجتماعي، يعني هذا أم المفهوم هو عرض محدد للواقع الذي نستطيع ملاحظته، وبالتالي فالمفهوم هو تقريب لا يمكن أن يكون متطابقا تماما مع الظاهرة البحثية **مع هذا يظل المفهوم في المعرفة السوسيولوجية الأداة الوحيدة لتعين أو تمثيل الواقع الملحوظ**، ومن ثم الأداة أو الوسيلة لترجمة تمثيلها الذهني للواقع، وبناء تفسيرنا، وفهمنا لهذا الواقع ومن هنا تبرز فائدة المفهوم وبنائه في البحث السوسيولوجي.

– **البعد**: فيه يتم الإنتقال **من المجرد إلى الملموس** أي هو التعبير عن المفهوم المجرد الذي لا نلاحظه مباشرة في الواقع الملموس بمستويات من الواقع، تشكل مكونات له، ولاعتبار آخر أن المفهوم هو عبارة عن مجموعة معقدة من الظواهر، وليس من ظاهرة بسيطة يمكن ملاحظتها مباشرة، **وبالتالي للمفهوم الواحد عدة أبعاد**.

– **المؤشر**: هو **ما يلاحظه الباحث في الواقع**، وهو رمز يعكس **مضمون فكر أو أسلوب أو موقف لأفراد مجتمع البحث بواسطة نعته**، وبعبارة أخرى **هو وصف مختصر لوقائع كثيرة، يمكن من خلاله وعبر الأبعاد أيضا بناء تقنيات جمع البيانات: الملاحظة، المقابلة، والاستمارة** باعتبار أن كل مؤشر يتحول إلى الرصد بالملاحظة وإلى أسئلة مثلا في تقنية المقابلة، والاستمارة.

مثال تطبيقي

المفهوم / المتغير : المفهوم هو **تصور ذهني مجرد** يستخدم لتمثيل مستويات معينة من الواقع الاجتماعي، ...

- **مثال 01**: مفهوم الرضا الوظيفي، وهو بناء ذهني يعكس إدراك العاملين لمستوى رضاهم عن ظروف العمل.
- **مثال 02**: عند دراسة الثقة التنظيمية، يترجم المفهوم إلى إدراك الموظفين لمدى شفافية الإدارة وعدالتها.

2. **البعد** : البعد هو **الانتقال من المجرد إلى الملموس**، أي التعبير عن المفهوم في صورة عناصر قابلة للملاحظة. فالمفهوم غالبا مركّب ومعقد، ويحتاج إلى تفكيك إلى أبعاد متعددة.

- **مثال 01: مفهوم الرضا الوظيفي يمكن تفكيكه إلى أبعاد مثل: الرضا عن الأجر، الرضا عن العلاقات مع الزملاء، الرضا عن فرص الترقية.**
- **مثال 02**: مفهوم الثقة التنظيمية يمكن أن يترجم إلى أبعاد مثل: الثقة في الإدارة العليا، الثقة في الزملاء، الثقة في السياسات الداخلية.

3. **المؤشر** : المؤشر هو **الوصف الملموس الذي يلاحظه الباحث في الواقع**، ويستخدم كرمز يعكس مضمون الفكر أو الموقف. المؤشرات تُحول الأبعاد إلى أدوات قابلة للقياس عبر تقنيات جمع البيانات.

- **مثال 01**: مؤشر الرضا عن الأجر قد يقاس عبر سؤال في استبيان: "هل تشعر أن راتبك يعكس حجم جهودك؟"
- **مثال 02**: مؤشر الثقة في الإدارة قد يقاس عبر سؤال: "هل تعتقد أن الإدارة تتخذ قراراتها بشفافية وتشارك المعلومات مع الموظفين؟"

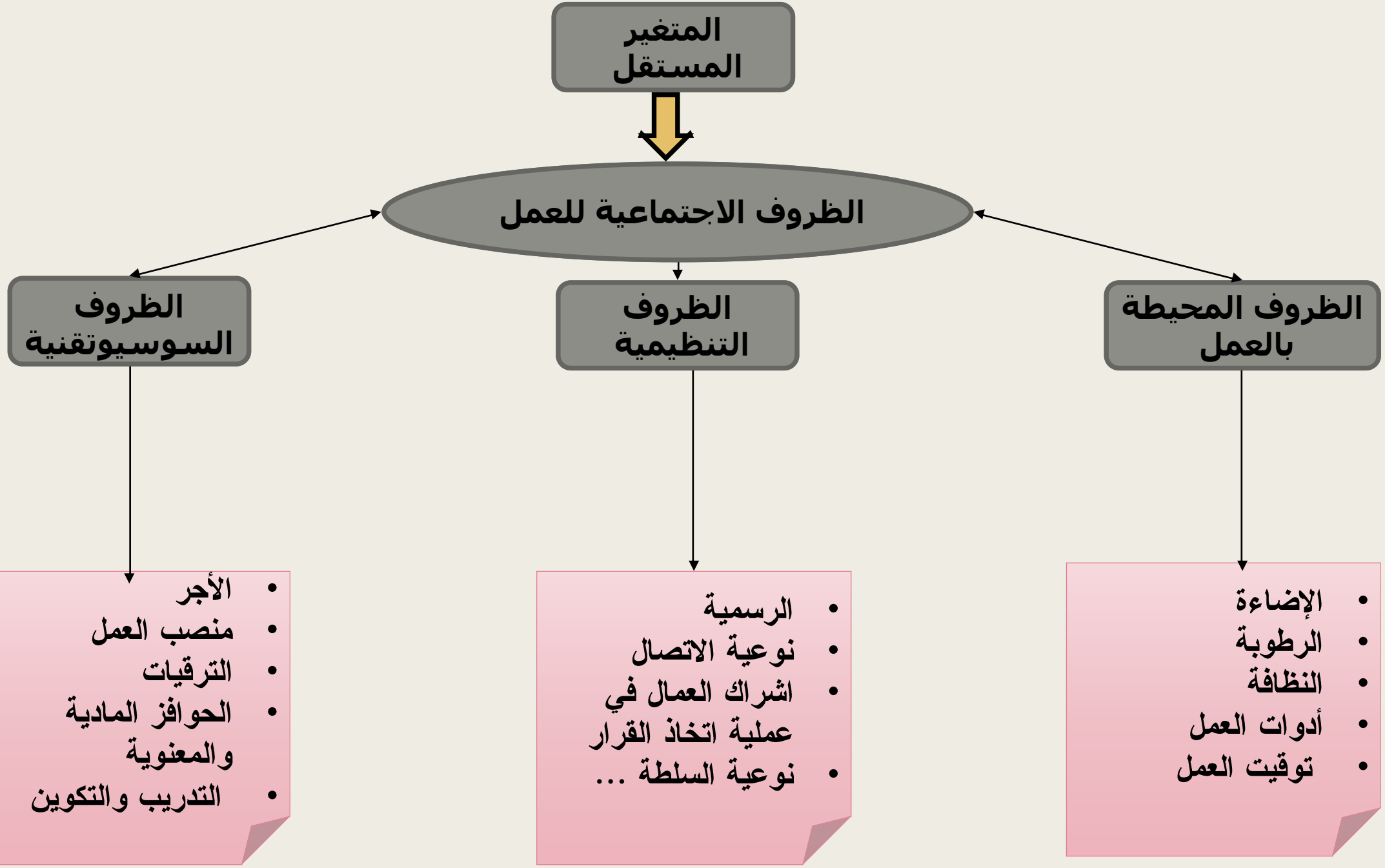
المتغير المستقل
الظروف الاجتماعية للعمل
الظروف المحيطة بالعمل
الظروف التنظيمية
الظروف السوسيوتقنية
الإضاءة
الرطوبة
النظافة
أدوات العمل
توقيت العمل
الرسمية
نوعية الاتصال
اشراك العمال في عملية اتخاذ القرار
نوعية السلطة ...
الأجر
منصب العمل
الترقيات
الحوافز المادية والمعنوية
التدريب والتكوين

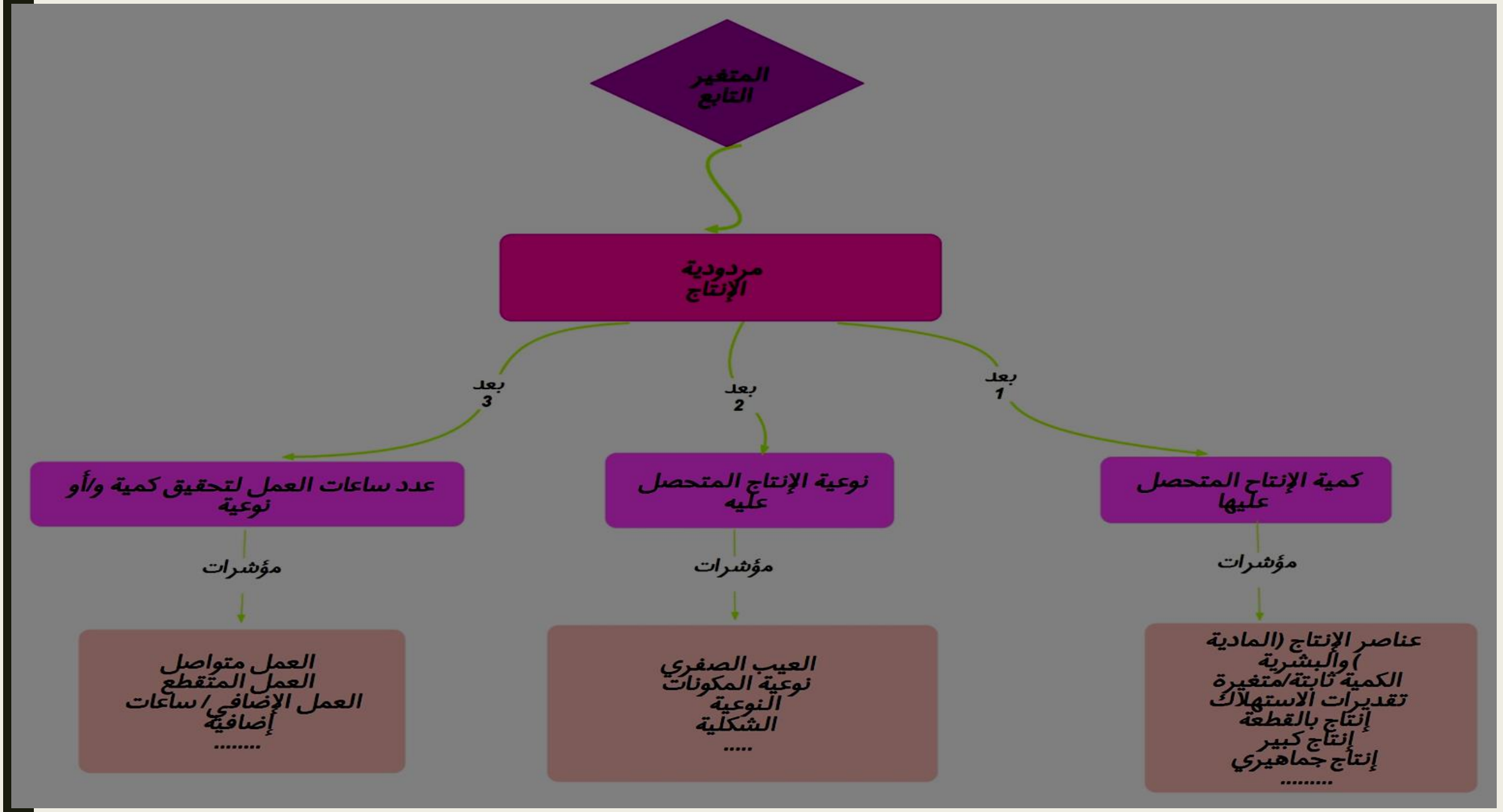
المتغير التابع
مردودية الإنتاج
بعد 1
بعد 2
بعد 3
كمية الإنتاج المتحصل عليها
نوعية الإنتاج المتحصل عليه
عدد ساعات العمل لتحقيق كمية و/أو نوعية
مؤشرات
مؤشرات
مؤشرات
عناصر الإنتاج (المادية والبشرية)
الكمية ثابتة/متغيرة
تقديرات الاستهلاك
إنتاج بالقطعة
إنتاج كبير
إنتاج جماهيري
.....
العيب الصفري
نوعية المكونات
النوعية
الشكلية
.....
العمل متواصل
العمل المتقطع
العمل الإضافي / ساعات إضافية
.....

أهمية نموذج التحليل :

تتمثل أهمية نموذج التحليل، فبالنسية للبحث السوسيولوجي فهو يسهل عملية ترجمة المتغيرات إلى عمليات بحث أي عبر التوجه نحو بناء **في أنه يفيد البحث والباحث السوسيولوجي في نقطتين أساسيتين** المتغيرات وبناء المفاهيم عبر عملية التحليل المفهومي.

أما **بالنسبة للباحث أهميته تبرز في تشكيل الإطار التحليلي للباحث الذي يكون متماسكا معرفيا ومنهجيا**. ويمكن تحديد أهميته في النقاط التالية:

- ✓ **التحليل**: يسمح للباحث بتجاوز الوصف إلى التفسير من خلال تقديم قراءة مفهومية للمعطيات.
- ✓ **الفهم**: يضمن أن يتم الفهم السوسيولوجي للظاهرة وفق نسق علمي وليس انطباعي.
- ✓ **الربط بين النظرية والميدان**: هو الجسر الذي يربط التجريد النظري بالملاحظة الميدانية.
- ✓ **التعميم**: يمكن الباحث من صياغة نتائج يمكن مقارنتها بأبحاث أخرى في نفس المجال.

مثال 2 :

حتـى نعمق فهم الطالب حول هذه المرحلة الهامة مـن مراحل المسعى المنهجي فـي البحث السسيولوجي وهـي استخراج مؤشـرات بعد المفهوم، التـي يستند إليها اختبار الفرضيـات، نصيغ الفرضية الآتية التي تضع فـي علاقة المفهومين الآتيين: يؤثر التذمر المهني في مردودية الإنتاج.

لدينـا إذا مفهومين مجردين، أي لانلاحظهما مباشرة في الواقع الملموس، علينا أن نحولهما إلى مؤشرات عملية حتى نتمكن من اختبار الفرضية القائمة على العلاقة بين هذين المفهومين.

التذمر المهني

المفهوم	البعد	المؤشر
تذمر مهني	ظروف العمل	الإضاءة.
		التهوية.
		النظافة.
		مكان العمل.
		أدوات العمل.
		حوادث العمل.
		منصب العمل.
		توقيت العمل.
	ضروب سلوك العامل	التغيّب.
		الكبح.
		التسكع.
		الإضراب.
		تخريب (عطب متعمد).
		دوران Turn Over.
		عدم الانضباط.
	علاقات العمل	رسمية.
		تمثيل نقابي.
		مطالب مهنية.
		نوعية الاتصال.
		اشراك العمال في اتخاذ القرار.
	المحيط الخارجي	وسائل النقل.
		السكن.
		ارتفاع الأسعار.
		عوائق بيروقراطية.
	انتظارات العامل	هشاشة منصب العمل.
		عدم الرضى عن الأجر.
		عدم الرضى عن المسؤول.
		تلبية الحاجيات.
		تمييز مهني.

هـذه بصفة عامة بعض المؤشرات – صفات عملية- التي يمكـن أن نضعها لبعد مفهـوم التذمر المهني. مـع الإشارة أنها ليست المؤشرات القـارة التي نجدها دائما عندمـا يتعلـق الأمر بمفهوم التذمر المهنـي بل يمكن لباحث آخـر أن يضع مؤشرات أخرى وحتى أبعاد أخرى، وذلك حسب ما وجهته إليه قراءاته وملاحظاته ومقابلاته الاستطلاعية.

ونحاول أن نتطرق إلى بناء مفهوم مردودية الإنتاج

المفهوم	البعد	المؤشر
مردودية الإنتاج	قياس كمي	الميزانية المخصصة.
		كمية الإنتاج المحصل عليها.
		عدد الساعات لتحقيق هذه الكمية.
	بعد كيفي	منتوج من دون عيوب.

هذه مجموعة من المؤشرات التي يمكن أن نضعها لمَفْهُوم مردودية الإنتاج.

وبهـذا نكون قد حددنا جملة من المؤشرات للمفهومين، التذمر المهني ومردودية الإنتاج. مع الإشارة إلى أن هذه المؤشرات ليست قارة في كل الحالات التي يتم الربط فيهـا بين هذيـن المفهومين في علاقة تعطـي فرضية يريد الباحـث أن يتحقق منها امبريقيـا أو عمليـا. حيث يمكن أن نجد مؤشرات أخـرى تضاف إلى هذه، أو تعوضها تمامـا، أو تبقـي علـى بعضهـا، لأن كل بحث لـه توجهه النظـري وبياناتـه الميدانية الخصوصية، وهذا ما يؤدي إلى ثراء البحث السسيولوجي وتعدد تناولاته.

إن التحكـم الفعلي في هذا الإجراء يتطلب التدريـب المتواصل على ذلك وأساسا التشبع بتلك الثقافة السسيولوجية التي تساعد كثيرا على التحكم في كل مراحل بناء المفاهيم، الذي بقي لنا منها واحدة بعد عرض ثلاث منها، وهي الدليل.

نلتقي في المحاضرة القادمة

د.حجام العربي – قسم علم الاجتماع
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

larbi19m@yahoo.fr